النظرة الإسلامية للبيئة و التربية البيئية

Islamic view of the environment and environmental education

السيدة: صفية علاوي

أستاذة مساعدة في قسم العلوم الاقتصادية

كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم

جامعة عمار ثليجي – الأغواط *sofia.univ.83@gmail.com*

الملخص:

إن البيئة الطبيعية الوسط الذي يحيط بالإنسان من مخلوقات الله مثل الماء و الهواء و الغابات و الأراضي و الحيوانات و الطيور ، فقد فضل الله سبحانه و تعالى جعل خلافة الأرض للإنسان دون غيره من سائر المخلوقات وسر هذا التفضيل مرده إلى أن الإنسان هو أرقى هذه المخلوقات ، فقد خصه الله سبحانه و تعالى بميزة حرم منها المخلوقات،ألا وهي العقل الذي به نستطيع أن ننمي وعينا و تربيتها بهذه البيئة الغنية.

الكلمات المفتاحية: بيئة؛ تربية بيئية.

ABSTRACT

The environment in which a person lives as water , air , forests lands , animals and birds is the creation of God the Almighty who gave preference to the human being to his successor on earth , and this is due to the fact that the human being is the highest creature as God endowed him with brain to make him develop his awareness and behaviour towards environment.

***Key words**: environment; environmental education.*

المقدمة:

إن نظرة الغربيون للبيئة موضوع من موضوعات الساعة، أما الإسلام فقد تعرض لها منذ بزوغ فجره، فكانت من أكبر اهتماماتها ويرى ذلك جليا في السور القرآنية و الأحاديث النبوية و بما أن كل هذا من أجل الإنسان و ذلك لتربيته على النهج الصحيح و المستقيم ؛

- وعلى اعتبار أن البيئة كائن حي يعاني من المرض و يشعر بالألم شأنه في ذلك شأن أي إنسان و حيوان أو نبات...حقه علينا أن نحافظ عليه ، و أن نصونه و نقدم له العلاج المناسب في الوقت المناسب حتى تعود إليه صحته و نشاطه، و الحقيقة أن الإنسان كان دوما و لا يزال هو مصدر الخطر الرئيسي على البيئة، وقد ترتب

على ذلك أن البيئة أصبحت تعاني من الضعف و الهزال بدرجة كبيرة ، مما يعني حاجتنا إلى تربية بيئية مستنيرة للأبناء ليكونوا قادرين على حماية البيئة و صيانة مواردها لتكون قادرة على العطاء لأجيال المستقبل.

- ومن خلال هذا كله تتضح لنا معالم الإشكالية التالية:

- ماهو منظور الإسلام للبيئة و التربية البيئية ؟

وعلى هذه الإشكالية نجد أنفسنا أمام جملة من التساؤلات:

- ماهي البيئة ؟

- ماهي الآيات و الأحاديث التي تطرقت للبيئة ؟

- ماذا نقصد بالتربية البيئية ؟

- ماهي التربية البيئية في الإسلام ؟

- ماهي منهجية الأئمة في معالجة مشاكل البيئة؟

- و على اعتبار أن هذا المقال صوابه في مجال الدين الإسلامي، فلا داعي للفرضيات.

أولا : النظرة الإسلامية للبيئة

- توجد العديد من الآيات و الأحاديث التي تحدثت عن البيئة، و ذلك من خلال ذكر مكوناتها المختلفة و أنواعها و كيف ذلك، و كما هو معلوم أن الله خالق كل شيء، و قبل ذكر نظرة الإسلام للبيئة نعرف أولا البيئة.

1-1 البيئة:

كلمة البيئة في اللغة مشتقة من بوأ و يقال تبوأت منزلا بمعنى نزلته و هيأته و ذلك حسب قوله سبحانه و تعالى:" و كذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ من حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء و لانضيع أجر المحسنين" (الآية 56 - سورة يوسف). (1 – ص 17) .

و البادي لغة أن كلمة بيئة يكاد يكون واحدا بين مختلف اللغات، فهو ينصرف إلى المكان أو المنزل أو الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي بوجه عام، كما ينصرف إلى الحال أو الظروف التي تكتشف ذلك المكان أيا كانت طبيعتها، ظروف طبيعية أو اجتماعية أو بيولوجية التي تؤثر على حياة ذلك الكائن و نموه و تكاثره.(2- ص23)

أما التعريف الاصطلاحي للبيئة :" فهي المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشمل من ماء و هواء و فضاء و تربة و كائنات حية و منشآت أقامها لإشباع حاجاته"(3- ص39)

في حين أن علم الايكولوجية يعرف البيئة على أنها المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظواهر طبيعية و بشرية، يتأثر و يؤثر فيها.(4- ص15)

ومن خلال هذه التعاريف (اللغوي، الاصطلاحي، الايكولوجي)، نستنتج التعريف الشامل الآتي للبيئة Environnement :" هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية من انسان و حيوان و نبات، و كل ما يحيط بها من هواء و ماء و تربة بما تحتويه من مواد صلبة أو سائلة أو غازية أو إشعاعات و المنشآت الثابتة و المتحركة التي يقيمها الإنسان ، و بهذا ظهر ما يسمى بعلم البيئة Ecologie الذي يتكون من كلمتين: ايكوس و تعني المعيشة، و لوجاس وتعني دراسة أماكن معيشة الكائنات الحية و كل ما يحيط بها من الحيوانات و النباتات و الظروف الجوية و علاقتها ببعضها البعض.

2-1 البيئة في القرآن الكريم:

لم يدع القرآن الكريم مجالا من مجالات الحياة التي تناولها مصداقا لقول الحق تبارك و تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء". (الآية 38 - سورة الأنعام).

و آيات القرآن الكريم عددها 6236 آية، جاءت منها ألف آية كونية تحدثت عن الرعد و النور و الدخان و الذاريات و النجوم و القمر و الحديد و المعارج و النازعات و التكوير و الانفطار و البروج و الانشقاق و الطارق و الشمس و الليل و الضحى و الزلزلة و غيرها ، و كما نعلم فان عدد سور القرآن الكريم 114 سورة منها 35 سورة تحمل أسماء كونية.

كما يحتوي القرآن على مائة آية عن النباتات و العديد من الآيات عن الأنعام و الحيوان، و عن الحشرات فتوجد ثلاث سور ذات أسماء للحشرات و هي: سورة النحل، النمل، العنكبوت، كما تم ذكر و ضرب الأمثلة بحشرات متعددة هي:البعوض، الذباب، الجراد، القمل، النحل، العنكبوت،...، كله دليل صارخ على أن البيئة أخذت قسما في القرآن الكريم، فمثلا من بين الآيات التي ذكر فيها الماء قوله عز و جل: "و هو الذي أرسل الريح نشرا بين يدي رحمته و أنزلنا من السماء ماءا طهورا" (الآية -48 سورة الفرقان).

كما تم ذكر النبات كذلك في قوله سبحانه و تعالى: "وفي الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان تسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الأكل، إن في ذلك للآيات لقوم يعقلون". (الآية 04- سورة الرعد).

أما هن الحيوانات قول الله عز و جل:" و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق مالا تعلمون". (الآية 08- سورة النحل).

ويؤكد الله سبحانه و تعالى على تفضيل الإنسان عن باقي الكائنات الحية في قوله عز و جل: " و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا".(الآية 70 – سورة الإسراء).

و لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تقترن خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله عز و جل الأرض للإنسان، و جعلها صالحة ليحيا عليها و يعيش فيها حياة كريم، بل إن الله سبحانه و تعالى لم يكتفي بذلك، بل سخر أيضا ما في الأرض و ما في السماوات للإنسان إذ يقول الله تعالى: " ألم ترو أن الله سخر لكم ما في السماوات و ما في الأرض". (الآية 20- سورة لقمان)، و قوله: "ألم ترى أن الله سخر لكم ما في الأرض". (الآية 65- سورة الحج). و قوله: " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا". (الآية 29- سورة البقرة)، و تسخير الأرض يقصد به تطويع الأرض و كل ما هو ظاهر على سطح الأرض من أشجار و أنعام و بحار و أنهار لخدمة الإنسان. أما تسخير ما في السماوات فيعني أن الشمس و القمر و النجوم و الفضاء جميعها مسخرات بأمر الله لخدمة الإنسان، و يؤكد القرآن الكريم أن نعم الله سبحانه و تعالى على الإنسان غير محدودة فهي تشمل كافة ما في البيئة الطبيعية المحيطة به، إذ يقول عز من قائل: "له ما في السماوات و ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى".(الآية 06- سورة طه)، فهذه النعم تشمل البترول و المعادن و غيرها.[05- ص08]

ثانيا : النظرة الإسلامية للتربية البيئية

بعد التطرق لمفهوم البيئة و نظرة الإسلام لها نسلط الضوء على مفهوم التربية البيئية من الطابع الإسلامي، لأن الإسلام يستهدف أبناءه على تحمل المسؤولية العامة و الخاصة، و لا شك أن من بين المسؤوليات الهامة - المحافظة على البيئة- و حمايتها من التلوث و من الأخطار و من التدمير و العمل على تحسينها و تجميلها و حسن استغلالها و الاستفادة منها، و ذلك لأن البيئة مثل الأرحام التي ننمو فيها، فإذا كانت صحية تمثل الفرد بالصحة و السلامة ، و إذا كانت ملوثة تعكس ذلك على صحته الجسمية و العقلية.

2-1 مفهوم التربية البيئية

عرف عبد الرحمن محمد العيسوي التربية البيئية: " بأنها نشاط حديث نسبيا و تقوم به المؤسسات التربوية، يستهدف إحاطة الناس علما بطبيعة و حجم المشكلات البيئية و البدائل السلوكية التي تخفف من وطأة المشكلات التي تعاني منها البيئة، و تعديل سلوك الناس نحو حماية البيئة و تحسينها و الكف عن السلوك السلبي المضاد للبيئة و تلويثها و تدميرها و تخريبها و تصحرها و انتشار الجراثيم العدوى و الأوبئة.[06- ص 28]

كما هو معلوم من أصول تربية الإسلام لأبنائه استهداف القوة في كل شئ، أن يكون المسلم قويا في الإعانة ، وناجحا في عقله و فكره و قويا في نفسه و ضميره و في كل جوانب شخصيته ولا تستقيم هذه القوة لإنسان يعيش في بيئة

ملوثة مملوءة بالجراثيم و الحشرات و الأوبئة و الزواحف و القوارض و الروائح الكريهة و الأتربة و الغبار و الدخان و النفايات و الغازات السامة، و ما إلى ذلك من الأمور التي باتت تهدد حياة الإنسان على هذا الكوكب. (07)

و قد عرف مؤتمر" تبلسي" التربة البيئة عام 1977 بأنها : " عملية إعادة توجيه و ربط لمختلف فروع المعرفة و الخبرات التربوية، بما ييسر الإدراك المتكامل للمشكلات، و يتيح القيام بأعمال عقلانية للمشاركة في مسؤولية تجنب المشكلات البيئية و الارتقاء بنوعية البيئة. (08 – ص 41)

كما عرفتها جامعة " ألنوي " بأمريكا عام 1970 على أنها: " نمط التربية يهدف إلى معرفة القيم و توضيح المفاهيم و تنمية المهارات اللازمة لفهم و تقدير العلاقات التي تربط بين الإنسان و ثقافته و بيئته البيوفيزيائية، كما أنها تعني التمرس عل اتخاذ القرارات ووضع قانون للسلوك، شأن المسائل المتعلقة بنوعية البيئة. (09- ص10)

و عرفها مرجع التعليم البيئي عام 1976 : "بأنها عملية تكوين القيم و الاتجاهات و المسارات و المدركات اللازمة لفهم و تقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان و حضارته بمحيطه الحيوي و توضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة و ضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة و رفع مستوى معيشته. (08- ص115)

و عموما فالتربية البيئية تعني تربية الفرد، بحيث يسلك سلوكا رشيدا نحو البيئة التي يعيش فيها بالمعنى الواسع و الشامل، فيستثمر إمكاناتها و يتعامل معها برفق و تحضر لكي تكون قادرة على الاستمرار في العطاء مما يوفر حياة هنيئة للإنسان في الحاضر و المستقبل. (10- ص12)

و مما نستدل به على زيادة الاهتمام بقضايا البيئة و التربية البيئية اقتصاديا، مثلا: ظهور دراسات المشاريع التنموية أو بما تسمى دراسة تقييم الأثر البيئي لمشروعات التنمية، حتى يمكن التعرف على المشكلات البيئية و تحديد أسس طرق التعامل معها منذ بداية عمل المشروعات. (11- ص25)

2-2 نظرة القرآن الكريم للتربية البيئية

لم يكن أمر أو ينفع الإنسان إلا أشار له الله عز و جل في القرآن الكريم، إما بترغيب أو الترهيب، فالإنسان هو المسؤول الأول و الأخير عن تلوث البيئة كما قلنا سابقا فقبل أن يخلق الإنسان و عندما سكن الجن الأرض أول مرة و أفسدوا فيها و أراد الله استخلاف الإنسان فيها اعترضت الملائكة على ذلك أول مرة و ورد ذلك في الآية التالية: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ".(الآية 20- سورة البقرة). ومن هنا نقول أن الله استودع الإنسان أمانة الحفاظ على البيئة لكن الإنسان لم يؤدي الأمانة بأكمل وجه و جاءت الآيات متتابعة عن إفساد البيئة، قوله تعالى: "

و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" (الآية 56- سورة الأعراف)، كذلك قوله تعالى: " و الله لا يحب الفساد "(الآية 205- سورة البقرة) و قوله تعالى: " ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (الآية 77- سورة القصص).

و قد اهتم القرآن الكريم بمحاربة الضوضاء فأمر المسلمين بالسكينة و الوقار حيث قال تعالى: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون و لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم و الله غفور رحيم " (الآية 04- سورة الحجرات).(12- ص70)

أما حول دمار البيئة قول الله عز وجل في (الآية 16 – سورة الإسراء): " وإذ أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها فيها عليها القول فدمرناها تدميرا " و شرحا أنه أذا قدرنا في اللوح المحفوظ إهلاك أهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا سلطنا المترفين (الأغنياء) فيها ففسقوا و أفسدوا و خرجوا عن جادة الحق و أتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا و بذلك يحق عليها كل العقاب فندمرها تدميرا شديدا، يقول الله تعالى في (الآية 102 – سورة هود) و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى و هي ظالمة إن أخذه اليم شديد ".

3-2 نظرة السنة النبوية للتربية البيئة

تحدثت السنة النبوية الشريفة عن الموارد البيئية في عدة أماكن قوله صلى الله عليه و سلم: " الناس شركاء في ثلاث في الماء و في الكلاء و النار"، و يقول عليه الصلاة و السلام: "اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد و في الظل و في طريق الناس " و أيام الرسول صلى الله عليه و سلم لم يكن الناس يعلمون شيئا عن الميكروبات أو الطفيليات على الإطلاق في ذلك الزمان و لكن كانت تستعمل مصطلحات أخرى مثل: " الوسواس، الشيطان، النجاسة، الخبث، الخطايا". و أول تعاليم الإسلام التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هو العلم " اقرأ بسم ربك الذي خلق " و ثانيها الطهارة " و ثيابك فطهر".(13- ص 48)

كما أمر الرسول صلى الله علية و سلم بضرورة نظافة المياه و المحافظة عليها فأمر ألا يترك وعاء الماء مفتوحا و لامكشوفا للذباب و الميكروبات و الأتربة عملا بقوله صلى الله علية و سل: " أوكؤا قربكم و اذكروا اسم الله و غطوا آنيتكم و أذكروا اسم الله "، وقوله صلى الله عليه و سلم: "غطوا الإناء و أوكؤا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه ذلك الوباء"، و كما هو معلوم أن الذباب ينقل حوالي 42 مرض للإنسان.

أما عن النظافة قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: ان الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم فنظفوا أفنيتكم و دوركم"، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلويث مصادر المياه فقال عليه الصلاة و السلام: " من غسل سخيمته على طريق على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين"، و من التربية البيئية للفرد المسلم ما أمر به الرسول صلى الله عليه و سلم به المسلمون و ذلك كقوله صلى الله عليه و سلم: " قلم أظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال تحتها "، و هناك قول آخر يخص القمامة قوله عليه

الصلاة و السلام: " من سمى الله و رفع حجرا أو شجرا عظما عن طريق الناس مشى و قد زحزح نفسه عن النار " و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم: " من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم".(13- ص102)

وقد حثنا الرسول عليه الصلاة و السلام على الاهتمام بغرس الأشجار ر و زراعتها لما فيها من استمرارية الحياة و فائدة الناس في قوله صلى الله عليه و سلم: " إذا قامت الساعة و بيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل و أجره عند الله عظيم ".

يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه صدقة، و ما أكل السبع منه فهو له صدقة، و ما أكلت الطير منه له صدقة و لا يزوره أحد إلا كان له صدقة" (في صحيح المسلم).

اهتمت السنة النبوية بأمر الحيوانات أيما اهتمام و قد وردت كثيرا من الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم في حماية الحيوانات و في حسن معاملتها، ذلك هذه الحيوانات مسخرة للإنسان لفائدته و في نفس الوقت خلقها الله لتؤدي وظيفتها في الحياة إلى جانب الإنسان. و من الأحاديث التي وردت في حماية الحيوانات قوله صلى الله عليه و سلم: " نهي عن قتل أربع دواب، النملة و النحلة و الهدهد و الصرد "، و قد نهى صلى الله عليه و سلم عن قتل الحيوانات و الطيور بغير منفعة و نهى أن تتخذ الحيوانات مرمى أو هدفا أو لعبا أو لهوا، يقول عليه الصلاة و السلام: " من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلان قتلني عبثا و لم يقتلني منفعة ".

و قد أمر صلى الله عليه و سلم بحسن معاملة الحيوانات و قد رويت عنه أحاديث عديدة في هذا الأمر، فقد ذكر صلى الله عليه و سلم أن امرأة دخلت النار في هرة لأنها حبستها و لم تطعمها: " عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها و سقتها إذ حبستها و لا تركتها تأكل من خشاش الأرض " (صحيح مسلم). (14- ص112)

و قد حثت السنة النبوية الشريفة على الحفاظ على صحة البيئة، فقد نهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن تلويث المياه بالبول أو البراز و ما ينسب عن البول و البراز يمكن أن ينسب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان و الحيوان و بقية المخلوقات.

يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: " اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد، و قارعة الطريق و الظل "، و يقول: " لا، يبولان أحدكم في الماء الدائم، و لا يغتسل فيه من الجنابة " وكما نهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن البول في الماء الدائم و هو الماء الراكد، نهى أيضا عن البول في الماء الجاري.

وقد نبه النبي الله صلى الله عليه و سلم المسلمين إلى العناية بحفظ أطعمتهم لكي لا تتلوث أو تتعرض للتسمم، فقد نهى عن التنفس في لا آنية الشرب أو النفخ فيها، لكي لا تنتقل الجراثيم المعدية للآخرين، فقد روي عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء " (سنن الترميذي).

و الرسول صلى الله عليه و سلم أمرنا بالحجر الصحي قبل أربعة عشر قرن من الزمان حتى لا تنتشر الأمراض المعدية و الأوبئة، فقد نهى الرسول عليه الصلاة و السلام أن يفر المرء من بلد فيها الطاعون إلى بلد آخر حتى لا ينقل المرض معه لأنه مرض فتاك، و قد ربط الأمر بالثواب و العقاب فالذي يفر من الطاعون كالذي يتولى يوم الزحف والذي يصبر فهو له أجر الشهيد، يقول صلى الله عليه و سلم: " الفار منه كالكافر من الزحف و من صبر فيه كان له أجر الشهيد "

كما نهت السنة النبوية عن الإسراف و دعت إلى التوسط و الاعتدال فأمر الرسول صلى الله عليه و سلم بعدم قطع الأشجار أو حرقها لغير المنفعة و شجع على غرسها و زراعتها.

و نهي عن الإسراف في الأكل إلا أننا يمكن أن نعمم النهي عن الإسراف و نجعله نهيا عاما، و النهي عن الإسراف في الأكل مقصود في ذاته لأنه ضار بصحة الإنسان من جهة و من جهة أخرى، فالإسراف في الأكل يحجب الإنسان المسلم عن الشعور بمن خوله من الفقراء و المساكين.

فقد روي عنه صلى الله عليه و سلم: " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه فحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه، فان كان لا محالة، فثلث لطعامه و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه " (رواه الترميذي).

و من هدي الإسلام في الحفاظ على الماء و كراهية الإسراف في استعماله حتى و لو في الوضوء، يقول صلى الله عليه و سلم:" إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاحذروا و اتقوا وسواس الماء ".

و كذلك حث صلى الله عليه و سلم على دفن الموتى و هذا يختلف عن الأديان التي توجب أو تجيز حرق الموتى و هذا يتنافى مع دين الفطرة الذي يرى أن حرق الموتى هو عبارة عن تلويث للبيئة و إهدار لجانب من عناصرها الطبيعية كما أن الإنسان المسلم قبل أن يدفن في الأرض يغسل و هذا لحكمة أرادها الله فهو يدخل الأرض نظيفا طاهرا.

في خطبة أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و جَه صحابته بأكثر من ثلاث عشر لاءات التي يمكن أن نستقرئ منها بعض التوجيهات المهمة للحفاظ على الموارد البيئية: " لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغلوا و لا تمثلوا و لا تقتلوا طفلا و لا شيخا و لا تغرقوا نخلا و لا تحرقوه و لا تقطعوا شجرة مثمرة و لا تذبحوا شاة و لا بقرة و لا بعيرا إلا للأكل و إذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فسموهم و ما فرغوا أنفسهم له ".(15- ص126)

- هذه الخطبة لأكبر دليل على ما يعنيه الإسلام للتربية البيئية و الذي تجسد حتى في رجالاته.

4-2 أقوال العلماء في ما يخص التربية البيئة

في العصر الإسلامي الأول كان الناس يعتمدون على ما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية و بعد ذلك ظهر علماء حملوا راية الإسلام و شرعوا في شرح هذا الدين للناس و منهم أئمة المذاهب التسعة: الإمام أبو حنيفة النعمان، مالك

بن أنس، محمد بن إدريس الشافعي، أحمد بن حنبل، الليث بن سعد، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، الحسن البصري، الأوزاعي رضي الله عنهم أجمعين هؤلاء العلماء أشاروا إلى البيئة ضمن الأحاديث الواردة و الآيات و لأن الناس آنذاك كان يمتلكون الوعي البيئي فطريا لأنهم كانوا يطبقون مبدأ الشريعة لم تكن هناك أقوال للعلماء تفضل ذلك .

و في الوقت الحاضر و بعد ضعف المسلمين و ابتعادهم عن دين الحق ظهرت المشاكل البيئية فأسرع العلماء المعاصرون إلى تنبيه الناس و هدايتهم إلى طريق الحق و منهم الشيخ يوسف القرضاوي، عبد المجيد الزنداني، ابن الباز و آخرون و منهم من تحدث عن البيئة في الإسلام و أشار إليها في كتبه كالشيخ يوسف القرضاوي الذي ألف كتاب تحت عنوان " رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية "، و تحدث مصطفى عاشور عن البيئة و قال بأن حمايتها فريضة شرعية.(16)

أما الدكتور إسحاق أحمد فرحان فحدد أوجه النظرة الإسلامية للبيئة و انعكاساتها على الفلسفة الإسلامية بثلاث مبادئ و هي:(17- ص126)

1- الخلق الهادف؛
2- الوحدة؛
3- الاتزان.

ثالثا – منهجية الإمام في معالجة مشاكل البيئة

بعد أن عرفنا مكانة البيئة في الرؤية الإسلامية ننتقل إلى الممارسات العلمية في مجال حماية البيئة من خلال خطب الجمعة و دروس الوعظ و الإرشاد.

و الحديث عن المنهجية يتطلب منا بداية وضع محددات لهذه المنهجية و تصورات منضبطة حتى يتسنى لنا الإحاطة بعناصر الموضوع قدر الإمكان.

و النهج المقترح في هذا المحور ينقسم إلى قسمين:

1- منهاج عام
2- منهاج خاص

وكلا المنهجين ينقسمان إلى قسمين:

1- منهج وقائي عام

2- منهج علاجي عام

3- منهج و قائي خاص، و منهج علاجي خاص.

1-3 المنهج العام

أ- المنهج الوقائي العام

و يتضمن المقترحات و الأحكام التي جاءت بها التربية الإسلامية لوقاية الأمة ابتدءا من الانحرافات قبل التورط في المشاكل. و انطلاقا من المثل المشهور" الوقاية خير من العلاج"، لأننا بالوقاية نتجنب الكثير من الأمراض قبل وقوعها على العكس من العلاج الذي نلجأ إليه بعد أن يكون المرض قد وقع فعلا علما بأن تكاليف العلاج باهظة جدا إذا ما قورنت بالتكاليف الزهيدة التي تتطلبها الوقاية.

كما أن فائدة العلاج تظل محصورة بالشخص أو بالأشخاص الذين تعالجهم أما الوقاية فتشمل شريحة واسعة من البشر و إذا رجعنا إلى القرآن الكريم فان كلمة الوقاية لم ترد بهذا اللفظ و إنما وردت باللفظ الشفوي أو بصيغة الأفعال المشتقة من اللفظ الشفوي و منها قوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...."(الآية 102- سورة آل عمران)، و قد ذهب المفسرون إلى أن المعنى الشرعي لكلمة التقوى هو الاحتراف بطاعة الله تعالى عن عقوبته و صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك و قد حثّ الإسلام على الكثير من الأفعال التي تقي الإنسان من المرض و نهى عن الكثير من الأفعال التي تسبب المرض و جعل ذلك جزءا لا يتجزأ من تشريعاته .

و بهذا يكون الإسلام سباقا في إرساء مفهوم الوقاية ليس في المرض وحده بل في كافة الأنشطة البشرية.

وقد أصبحت الأمة اليوم أكثر ارادة لأهمية الوقاية في حياتها نتيجة معرفتها حجم الأضرار التي تنتج عن الأمراض و عواقبها و مضاعفاتها، و على - سبيل المثال – نذكر تقارير الصحة العالمية و التي تشير أن داء " الجدري " كان يكلف البشرية سنويا مبالغ طائلة قدرت بأكثر من مليار دولار (ألف مليون دولار).

بفضل الله تعالى ثم بفضل التحصين تمكنت البشرية من القضاء عليه، و تخلصت من الأضرار الخطيرة بأقل من ثلث المبلغ الذي كان يصرف سنويا على علاج المصابين به، فإذا كانت البشرية قد وفرت كل تلك الأموال الطائلة و منعت تلك المضاعفات الخطيرة و المميتة عن الملايين من البشر بقضائها على مرض واحد فقط، فان لنا أن نقدر المكسب العظيم الذي عاد به الإسلام على المجتمع نتيجة تشريعاته، ووصاياه الصحية التي جنّبت المجتمع جملة كبيرة من الأمراض العضوية و النفسية و الاجتماعية التي كانت متفشية في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، و منها على سبيل المثال الإدمان على الخمر و الفواحش بشتى أشكالها و صورها ناهيك عن تلويث البيئة.

ومن عظمة أنه استطاع تحقيق هذه المكاسب الغالية، ببعض آيات من القرآن الكريم دونما الحاجة إلى لقاح ولا بقاء فيما عجزت الكثير من أمم الأرض على تحقيق شيء يسير من هذا الانجاز، بالرغم من القوانين المشددة و الغرامات الناهضة ضمن بعض الممارسات التي تسيء للصحة العامة.

لذلك ينبغي على الإمام استغلال المناسبات العامة ليوم الشجرة و يوم الأرض و اليوم العالمي للبيئة و غيرها من المناسبات و لا ينبغي له أن يتخذ منها موقف سلبيا قد يوحي بعدم اهتمامه بها بحجة أن الإسلام لم يكن مسؤولا عن تلك المشكلات، و يجب أن يكون سلوكه كسلوك الطبيب الذي يعتبر عافية مرضاه تحديا يقبله و واجبا يسعى إلى القيام به و هدفا يبتغيه برغم عدم مسؤوليته عن إصابتهم بالأمراض و العلل التي يشتكون منها، حتى و إن لم يتوفر لديه العلاج الشافي فعليه أن يسعى لتخفيف آلامهم و معاناتهم.

و لا شك أن وقوع المشكلات الكبرى كالحرائق و التلوث و الزلزال و الفيضانات يعز قلوب الناس و مشاعرهم، فالإمام و المربي مطالب باستغلال هذه الأحداث لإقناعهم ماداموا تحت تأثيرها بضرورة رجوعهم إلى الله لان بيد الله يصرفها كيف يشاء.

إن المسائل التي أراد القرآن ترسيخها وردت مكررة مرات عديدة، لذلك ينبغي على الإمام تكرار الأحاديث و الآيات المتعلقة بالمحافظة على البيئة لترسيخها.

الانتباه وهو عنصر مهم لنقل الأفكار من المتكلم إلى السامع، قال تعالى: " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب..."، و قال تعالى: " و إذا قرئ القرآن فاستمعوا له...".

و قد استعان القرآن في التنبه على حقائق بجملة من الأدوات منها بعض السور بخلاف المعهود " الم، المر، المص، بس ".

ب - المنهج العلاجي العام

و هذا المنهج يلجأ إليه عند الرغبة في تعديل سلوك سيء انتشر في المجتمع كتلوث البيئة الذي أصبح في طليعة القضايا التي باتت تغص مضاجع المسؤولين عن الصحة العامة في شتى البقاع. فقد أصاب التلوث كل ما حولنا من هواء و ماء و حيوان و هذا ما يجعل من التوجيهات القرآنية و النبوية معالم مضيئة في طريق معالجة مثل هذه القضايا، جاء في الحديث عن عبد الرحمان بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فلما جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: " من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها " (رواه أبو داود في سننه).

2-3 المنهج الخاص

أ- المنهج الوقائي الخاص

إن الإمام إذا نجح في إقناع الجماهير في خطابه العام ذاع وصيته و لقي قبولا عاما لدى الناس مما يسهل عليه القيام بدور دعوي خاص، لا يقل أهمية عن الدور الدعوي العام، وفي هذه الحالة وجب عليه تتبع حالة الأشخاص في ضوء ما يسمح به الوقت، لأن بيوت الداعية و مجتمعه هما مجال عمله الرئيسي، وهو مسؤول أمام الله عز و جلّ الذي سيحاسبه عما يقوم به من عمل في هذا الميدان كما في غيره مع التحلي بروح التواصي بالحق و الصبر و ما يسهل نجاح الإمام في وصوله إلى قلوب الناس بالإخلاص و الكلمة الصادقة و البشاشة و التهادي و الابتسامة المشرقة، و محبته لكل الخلائق مع الرفق و الرحمة، قال تعالى لنبيّه: " و لو كنت فظا غليظ القلب لنفضوا من حولك ".

ب- المنهج العلاجي الخاص

إن المجتمع الذي يعيش فيه الإمام هو ساحة عمله، فعليه أن يستعين بعقد لقاءات خاصة بصورة منتظمة تجمع عشرة أشخاص أو أقل و يتم التركيز في هذه اللقاءات على التثقيف و تنمية الجوانب الروحية إلا أنه لا يمكنه القيام بذلك لوحده بل ينبغي تطوير هذه اللقاءات و تجديد بنيتها باستمرار مع الاستفادة من نصف الوقت على الأقل في مناقشة أوضاع المجتمع المحلي و الأساليب العلمية لإصلاحه.

و الإمام الفطن هو الذي يستطيع إرجاع هؤلاء المرضى إلى مكانهم الطبيعي في المجتمع، وفي الأخير أن الإمام إذا استطاع توظيف هذه الطرق و المنهاج، استطاع أن يحقق من الأهداف وقد يتصور البعض أن الإسلام عبارة عن طبق من الورد يمكن زرعها في أي مكان من العال، و لكنه في الواقع أقرب إلى أن يكون باقة من الزهور الفريدة تقدم في كل بلد بتشكيلة مختلفة تناسب تربته و مناخه فلكل تربة و مناخ زهور وورود مميزة مما يجعل الإسلام منهاجا بديعا مبهجا بين الشعوب تتنوع فيه الألوان و الزخارف .

مما ينبغي على الإمام أن يعكس تلك المساهمات التي اكتسبها من معاني الإسلام الغيبية و الكونية، فان عليه كذلك أن يجني معالم و سمات الشخصية المحلية للبلد الذي ينتمي إليه. إننا نعاني في الوقت الحاضر خللا في تربيتنا الإسلامية، إذ نعير اهتماما كبيرا للجوانب العامة النظرية الحية للناس، و نقصّر في فهم احتياجاتهم المحلية القريبة التي تمس حياتهم اليومية و تتشابك مع همومهم و اهتماماتهم الأساسية، فعلى الإمام إذن أن يحقق التوقيت الصحيح في إطار التوجهات الإسلامية بين جميع هذه العوامل.

و لكن ينبغي أن لا تقتصر مساهماته كتشكيلة الأكلة الشهية الموجودة في مختلف بقاع العالم الإسلامي، على الرغم من تعددها و اختلافها بجمع بينها على أنها حلال طيب.

3-3 دور الإمام في بعث ثقافة بيئية من منظور إسلامي[18]

إن خصائص المجتمع الإسلامي، أن يتحمل جميع أفراده إصلاح المجتمع على هدي من الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، و إذا كان الفرد مطالبا بإصلاح المجتمع فانه مطالب بعدم الإفساد فيه، قال تعالى: " و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها "، و قال تعالى: " و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر". و المعروف اسم جامع لكل ما طلبه الشرع الإسلامي و المنكر اسم جامع لكل ما نهى عنه و من القواعد الفقهية " ما حُرّم أخذه حُرّم إعطاؤه".

من واجب الإمام إصلاح المجتمع و العمل على حبس الإفساد فيه و لا شك إن من أعظم الإصلاح العمل على إيجاد بيئة صالحة للمجتمع يتحقق فيها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و من أعظم الفساد في المجتمع إفساد البيئة التي يعيش فيها الإنسان، يقول صلى الله عليه و سلم: " و الله لتأمرون بالمعروف و لتنهون عن المنكر، و لتأخذن على يد الظالم و لتُأطرَنّه على الحق إطرًا و لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم"

الخاتمة:

إن الإسلام لم يترك أمرا من أمور الخلق تنفعه أو تضره إلا أشار إليها سواء في كتاب الله أو السنة النبوية، و عند تحدثنا عن البيئة و التربية البيئية نرى أنه من الضروري تربية أبنائنا في الكتاتيب أو المدارس أو على منابر المساجد تربية بيئية سليمة لان البيئة نعمة من نعم الله و علينا المحافظة عليها مصداقا لقوله عزّ و جلّ: " وما بنعمة ربك فحدّث " (سورة الضحى)، وعلى علماء الأمة أن يشيروا إليها في كتبهم و محاضراتهم ليبقى دين الإسلام دوما الدين الذي عرف في صدر الإسلام بدين التسامح و مكارم الأخلاق و اليسر و النظافة و الجمال .

و بهذا المفهوم و التخريج يتجلى لنا عمق الإعجاز العلمي لشريعة الإسلام، حيث سبقت علوم العصر في بيان معنى البيئة، و أشارت في وضوح وجلاء إلى أنها تعني الوسط أو المحيط المزود بالعناصر التي تجعله مهيأ للحياة و البقاء،و المكونات و العناصر التي تجعل المكان أو الوسط صالحا للحياة، هي تلك التي خلقها الله تعالى بعظيم قدرته، و هي الموارد و العناصر الطبيعية كالشمس و القمر، أو تلك التي أجراها الله تعالى على يد البشر بحكم خلافتهم في الأرض و عمارتهم لها، من مباني و منشآت و نظم اجتماعية و اقتصادية و غيرها.

قائمة الهوامش:

- المصحف الشريف.

1- سامح غرايبية، يحي الفرحان، مدخل إلى العلوم البيئية، الطبعة (1)، عمان، 2002، ص 17.

2- أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي، الطبعة (1)، القاهرة، 1996، ص 23.

3- ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، الإسكندرية، 2002، الطبعة (1)، ص 39.
4- محمد صالح الشيخ، الآثار الاقتصادية و المالية لتلوث البيئة و وسائل الحماية منها، الطبعة (1)، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002، ص 15.
5- محمود صالح العادي، الجواهر المضيئة في الإسلام و حماية البيئة، الطبعة (1)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص 08.
6- عبد الرحمان العيسوي، في علم النفس البيئي، الطبعة (1)، مصر، 1997، ص28.
7- راجح عبد العزيز طريح شرف، التلوث البيئي حاضره و مستقبله، الإسكندرية، 2000.
8- أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، الطبعة (1)، الدار العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995، ص41.
9- ابراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية في الوطن العربي، الطبعة (1)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص 10
10- أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، المرجع السابق،44 .
11- أحمد حسين اللقاني، فارغة حسن محمد، التربية البيئية بين الحاضر و المستقبل، الطبعة (2)، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص12.
12- 9 – إبراهيم عصمت مطاوع، مرجع سابق،115.
13- علي السكري، البيئة و قيم المجتمع، الطبعة (1)، القاهرة، 2002، ص70.
14- أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة،الطبعة (1)، القاهرة، 1991، ص 48.
15- – المرجع السابق، ص102.
16- - أحمد ملحة، الرهانات البيئية في الجزائر، الطبعة (1)، الجزائر، 2000، ص112.
17- – زينب صالح الأشوح، الاطراد و البيئة و مداولة البطالة، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 126.
18- – www.islam.online.net/arabic/science/2002/05/article07/HTMl
19- 17- إسحاق أحمد فرحان، التربية البيئية الإسلامية، بين الأصالة و المعاصرة، دار الشهاب، الجزائر،1987، ص126.
20- 18- المصري مبروك، دور الإمام في بعث ثقافة بيئية من منظور إسلامي، يوم دراسي حول حماية البيئة من منظور شرعي، يوم 04 مايو 2004، جامعة أدرار، الجزائر

قائمة المراجع:

1- مصحف القرآن الكريم.
2- أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي، الطبعة (1)، القاهرة، 1996.

3- أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، الطبعة (1)، الدار العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995.

4- أحمد حسين اللقاني، فارغة حسن محمد، التربية البيئية بين الحاضر و المستقبل، الطبعة (2)، عالم الكتب، القاهرة، 2003.

5- ابر هيم عصمت مطاوع، التربية البيئية في الوطن العربي، الطبعة (1)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.

6- أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة،الطبعة (1)، القاهرة، 1991.

7- أحمد ملحة، الرهانات البيئية في الجزائر، الطبعة (1)، الجزائر، 2000.

8- إسحاق أحمد فرحان، التربية البيئية الإسلامية، بين الأصالة و المعاصرة، دار الشهاب، الجزائر،1987.

9- سامح غرايبية، يحي الفرحان، مدخل إلى العلوم البيئية، الطبعة (1)، عمان، 2002.

10- صلاح الحجار، دليل الأثر البيئي في المشروعات الصناعية و التنمية، الطبعة (1) دار النهضة، مصر، 2002.

11- زينب صالح الأشوح، الاطراد و البيئة و مداولة البطالة، دار غريب، القاهرة، 2003.

12- علي السكري، البيئة و قيم المجتمع، الطبعة (1)، القاهرة، 2002.

13- عبد الرحمان العيسوي، في علم النفس البيئي، الطبعة (1)، مصر، 1997.

14- ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، الطبعة (1)، الإسكندرية، 2002.

15- محمد صالح الشيخ، الآثار الاقتصادية و المالية لتلوث البيئة و وسائل الحماية منها، الطبعة (1)، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002.

16- محمود صالح العادي، الجواهر المضيئة في الإسلام و حماية البيئة، الطبعة (1)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.

الملتقيات:

17- يوم دراسي حول حماية البيئة من منظور شرعي تحت رعاية وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف و وزارة البيئة، يوم 04 ماي2004، جامعة أدرار، الجزائر.

الأنترنت:

18-www.Islam.online.net/arabic/science/2002/05/article07/HTML